

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

(116) ودلالة السماء ظاهرة في السماء الدنيا، ودلالة الأرض ظاهرة على هذه الأرض جميعاً، ولا دليل من القرآن على غير هذا، ولا يدفع الظاهر بالمؤول دون أمانة، ودعاء نوح يوحى بهذا بل يصرح بعموم الطوفان: (رَّسَبَ لَّا تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) (1). وكون رسالة نوح عالمية تؤكد ذلك: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) (2)، مؤيداً بقوله تعالى: " فَبَدَعَتْ آيَاتُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ " (3). والكتاب إنما ينزل على أصحاب الرسالات العالمية ونوح أولهم بإعتباره من أولي العزم الخمسة وهو الأول منهم. قال الطباطبائي: " فالحق أن ظاهر القرآن - ظهوراً - لا ينكر - يدل أن الطوفان كان عاماً للأرض، وأن من كان عليها من البشر قد أغرقوا جميعاً، ولم يبق لهذا الحين حجة قطعية تصرفها عن هذا الظهور " (4). وغرق الملاء، وانتهى الأمر ونجا نوح والمؤمنون، (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) (5). وحصر آية ذرية البشر في نوح وحده، وهو أيضاً مما يدل صراحة على هلاك البشرية إلا نوح والذين معه: (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَاهَا دُرِّيَّةً لَهُمْ * الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَاهَا عَلَيْهِمْ فِي الْأَخْرَبِ * سَلَامٌ عَلَى الْوُحَّ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ نَافِثَةَ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرَبِينَ *) (6). وتغلبت القرون الأخرى في العالم، وتعاقت الأجيال على الكرة الأرضية حتى قوم هود عليه السلام، وهو من أنبياء العرب فبعثه الله إليهم: (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (7). الدعوة نفسها، والغرض واحد، وهو التوحيد، فكفروا به بعد أن _____ (1) نوح: 26. (2) الشورى: 13. (3) البقرة: 13. (4) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: 10 / 266. (5) العنكبوت: 15. (6) الصافات: 76 - 82. (7) الأعراف: 65.